Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشعر فى أنفس الفرقاء . وقد أحسن ابن رشيق فهم هذا الجو فى قوله « وإنما الشعر ما أطرب وهز النفوس ، وحرَّك الطباع » وهو لا يكتفى بهذا ، وإنما يضيف « فهذا باب الشعر الذى وضع له ، وبنى عليه لا ما سواه[٢] » وهو بذلك يطرد من وادى الشعراء مالا يطرب ويهز النفوس ، وفى كلامه كما تلاحظ نبرة اعتراض قوية على ألوان من الشعر لا تروق للانطباعيين فى كل زمان .

وفى حديث القدماء عن الطبع والصنعة تتردد كلمات الانطباع مثل الفخامة والجزالة والقوة والمتانة ، ويلاحظ الآن أنها ليست أوصافا للفظ بقدر ما هى أوصاف لموقعه فى النفس . وقاد هذا الحديث الباحثين الىٰ اتهام نماذج شعرية كثيرة بالتكلف لا لشىء إلا لأنها ليست قريبة المنال لا تهتز لها النفوس . وقد اقترنت جودة الشعر فى نصوص كثيرة ، ولأجل هذا السبب بالوضوح والبساطة والسلامة . ولست فى حاجة إلى أن أذكر لك موقف القدماء من شعر أبى تمام وحملتهم عليه ، وتفضيلهم للبحترى عليه ، وتصريحهم بأن ذلك تم لقرب مأخذه ولأنه مطبوع . وحق لناقدنا المعاصر أن يخشى والأمر كذلك أن يكون الاحتفال بالسلاسة والرقة (وهما كما ترى وصفان لموقع الشعر فى النفس) قد جرف أمامه تعميق الأداء والجودة ، ويخشى أن يدفع ذلك إلى الاستنامة على متكأ الألفاظ الناعمة ، وأن يسترخى الشعر على وساد تلك الرقة[٣] .

- ٢ -

وقد أجاد الانطباع التنكر لفترة طويلة فى لغة النقد القديم وفى أحاديث متصلة عن القواعد والمعايير والحدود ، حتى إذا جاء الرواد فى بداية النهضة الحديثة أضفوا على الحديث من ثقافتهم ومكانتهم ودورهم التاريخى الشىء الكثير . كانوا يبحثون عن فهم خاص للشعر ، وقد اعتمدوا خلال ذلك على اعتداد شديد بدورهم وملكاتهم . والاعتداد باب من أبواب الانطباع دخله الرواد ممتلئين بالثقة فيما يفعلون . فالعقاد يصرح بأن « إحساسنا بشىء من الأشياء

---

(٢) نفسه ، ١ - ١٢٨ .

(٣) د . رجاء عيدالتراث النقدى ، ١٣٠ ، ويراجع فى انتقال مصطلحى الطبع والتكلف من وصف الكلام إلى وصف المتكلم والعكس مقالة الدكتور / عبد الحكيم راضى بعنوان المصطلح النقدى بين وصف الكلام ووصف المتكلم دراسة فى مصطلحى الطبع والتكلف ، الثقافة القاهرية العدد ١٠٢ ، مارس ١٩٨٢ .